أحاديث الشفاعة بيِّنة ومُحْكَمة وليس فيها حجة للمرجئة

(رد على ربيع المدخلي)

تأليف

عبد الحميد بن خليوي الجهني

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله, نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله, صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَم تسليما كثيرا .

أما بعد:

فقد كثرت مقالات ربيع المدخلي حول الشفاعة وأحاديثها، وكل مقال منها هو تكرار للذي قبله مع تغيير في الشكل والعنوان، أما المضمون فهو نفسه. فالرد على مقال واحد منها هو رد عليها جمعيها.

ولقد رغب إلى بعض الغيورين على عقيدة السلف أن أرد على مقالاته في موضوع الشفاعة، وألح في ذلك وأكثر من الإلحاح، وأنا مع ذلك أسوّف وأماطل وأعتذر بانشغالي في بعض المهام، حتى طال الأمر ومضى عليه أكثر من عام.

ثم رأيت أن الإجابة إلى هذا الطلب أولى من الحيدة والهرب، لما في مقالات الرجل من التلبيس الشديد على عامة القراء.

هذا، وبعض الأحباب من الأصحاب يختار لي الإعراض عن هذا الرجل لما يسببه لي من أذى ومضايقة وإحراج بكلامه السليط وتصنيفه الجائر ...

لكني لا أجد قولا أقوله في هذا المقام أحسن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما في الصحيحين:

" هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ "

وقد بدأت بفصول مختصرة في موضوع الشفاعة كالتمهيد في الرد، إذ إن باب الشفاعة من الأبواب الواضحة عند عامة أهل السنة فليس ثمة حاجة إلى التعمق والتفصيل.

وقسّمت الرسالة إلى ستة فصول، هي على النحو التالي:

الفصل الأول: في بيان المراد بالشفاعة.

الفصل الثاني: في أنواع الشفاعة.

الفصل الثالث: في بيان عقيدة أهل السنة في الشفاعة.

الفصل الرابع: في بيان سوء فهم ربيع المدخلي لكلام العلماء وحمله على غير محمله.

الفصل الخامس: في بيان عقيدة هؤلاء العلماء - الذين نقل عنهم ربيع - في باب الإيمان وإثبات أنهم برآء من بدعة الإرجاء.

الفصل السادس: في بيان أن أحاديث الشفاعة لو استدل بها مرجئة أهل الكوفة وأصحاب الرأي على بدعتهم لعجز ربيع المدخلي أن يرد عليهم.

الفصل السابع: في كشف فرية ربيع المدخلي على كاتب هذه السطور.

وسَمّيتُ هذه الرسالة المباركة: (أحاديث الشفاعة بيّنة ومُحْكَمة وليس فيها حجة للمرجئة)

نفع الله بها، وجعلها من العلم النافع الذي يبقى أجرُه وأثرُه وذِكْرُه في الناس.

وفي الختام أنبه إلى أمر قد يعذلني فيه بعض المُحبين فيعذرني فيه، ذلك أني كنت في ردود سابقة أبدي شيئا من الاحترام لهذا الرجل نظرا إلى سِنِّه وما له من سابقة في الدفاع عن السنة فألقبه بالشيخ .. أما بعد الذي أظهر من سلوك مُشين وعدوان مبين تجاهي شخصيا وتجاه غيري من المشايخ وطلاب العلم، ومن ذلك فريته التي افتراها علي كما سأبينه إن شاء الله، فضلا عن ظلمه وبُهْته لنا بأننا " الفرقة الحدادية " حيث جعلنا من الفرق الهالكة !

فماذا أبقى هذا الرجل من الاحترام له بعد هذه الأفاعيل ؟ وحسبُنا الله ونعم الوكيل !

الفصل الأول: في بيان المراد بالشفاعة

الشفاعة: مأخوذة من الشَّفْع وهو ضد الوتر. وذلك أن الشخص إذا كانت له حاجة فطلب من غيره أن يشفع له في قضائها صار هذا الغير شفعا له.

وهذه الشفاعة إما أن تكون في الدنيا بين أهلها، وهذه لا يبحثها علماء التوحيد.

وإما أن تكون في الآخرة بين الخالق والمخلوق فهذه التي تُبحث في العقيدة .

وهي قسمان: شفاعة مثبتة وشفاعة منفية.

فالشفاعة المثبتة هي التي أثبتها الله تعالى في القرآن وهي لأهل التوحيد ولها شرطان:

1- إذن الله للشافع أن يشفع.
2- ورضى الله عن المشفوع له.

والشفاعة المنفية هي التي يدعيها المشركون لآلهتهم أنها تشفع لهم عند الله يوم القيامة وهي شفاعة نفاها الله تعالى في القرآن ولذا يسميها العلماء الشفاعة المنفية.

الفصل الثاني: في أنواع الشفاعة

الشفاعة المثبتة يوم القيامة أنواع كما جاء في النصوص.

منها شفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها غيره. وهي ثلاثة أنواع:

1- الشفاعة العظمى التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه فيقول: "أنا لها". وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف. وهذه شفاعة يختص بها، لا يشركه فيها أحد.
2- شفاعته لأهل الجنة في دخولها. وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه.
3- شفاعته في بعض الكفار من أهل النار حتى يُخفف عذابه، وهذه خاصة بأبي طالب وحده.

أما الشفاعة العامة التي تكون للنبي صلى الله عليه وسلم ويشاركه فيها غيره، فهي أيضا ثلاثة أنواع:

1- شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار، فيشفع لهم أن لا يدخلوها.
2- شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم، والأحاديث بها متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة، وبدَّعوا من أنكرها، وصاحوا به من كل جانب، ونادوا عليه بالضلال.

قلت: وهذا النوع من الشفاعة هو الذي تحتج به المرجئة على نجاة تارك الأعمال وعلى أن الإيمان يصح من غير عمل الجوارح كما هي عقيدة ربيع المدخلي وفهمه الذي وافق فيه المرجئة وأكثر من الانتصار لهم والذب عن عقيدتهم.

3- شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجتهم، وهذه مما لم ينازع فيها أحد.

(هذه الأنواع ملخصة من كلام الإمام ابن القيم كما نقله عنه الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد)

الفصل الثالث: في بيان عقيدة أهل السنة في الشفاعة

أهل السنة وفق الكتاب والسنة في الشفاعة فيثبتون الأنواع السابقة التي دلت عليها النصوص في الشفاعة.

وخالفهم في ذلك الخوارج والمعتزلة فأنكروا الشفاعة لأهل الكبائر لأن عقيدة الخوارج والمعتزلة أن مَن دخل النار لا يخرج منها أبدا.

ومن هنا أكثر علماء السنة من تقرير الشفاعة وتأكيدها وأنه حق لمن دخل النار من الموحدين. وقصدهم في ذلك الرد على الخوارج والمعتزلة الذين ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر الذين دخلوا النار أو استحقوا دخولها.

فيأتي المرجئة - ومَن نحا نحوهم ونصر عقيدتهم كربيع المدخلي - فيأخذون ردود علماء السنة على الخوارج والمعتزلة في إثبات الشفاعة فيجعلون هذه الردود - التي فيها إثبات الشفاعة – أدلة وحججا على الإرجاء.

وجميع النقول التي ينقلها ربيع المدخلي هي في هذا الإطار، حيث يأخذ كلام العلماء في إثبات الشفاعة الذي ردوا به على الخوارج والمعتزلة فيجعله حجة للمرجئة.

بل يزيد في الغلط والمغالطة فيجعل القول بالإرجاء هو مقتضى كلام هؤلاء العلماء. وليس في كلامهم ما يدل على ذلك لكن ربيع المدخلي هو ممن اعتقد ثم استدل، ومَن اعتقد ثم استدل سيجعل النص أو النقل تابعا لفهمه وهواه.

قال الإمام ابن القيم في كتابه زاد المعاد وهو يتكلم عن مسألة مشابهة:

ولكن هذا كله عمل من جعل الأدلة تبعا للمذهب، فاعتقد ثم استدل. وأما من جعل المذهب تبعا للدليل، واستدل ثم اعتقد، لم يمكنه هذا العمل. اهـ

الفصل الربع: في بيان سوء فهم ربيع المدخلي لكلام العلماء وحمله على غير محمله

سأذكر في هذا الفصل كلام العلماء الذي يحتج به ربيع المدخلي على بدعة الإرجاء مع بيان أنه لا حجة فيه.

واللافت للنظر أن ربيعا المدخلي كتب مقالات كثيرة في موضوع الشفاعة، ليس ردا على الخوارج والمعتزلة، لكن نصرةً لقول المرجئة. ولذلك تراه يعتني بالكلام المتشابه ويضع تحته خطوطا، وهذا هو الهوى، حيث ترك الكلام الواضح البين لهؤلاء العلماء ثم ذهب يضع الخطوط تحت كلامهم المتشابه. والله المستعان.

وسأضرب على ذلك مثالا: فهو – أعني ربيعا - إذا نقل عن بعض العلماء كلاما في الشفاعة فَتَرِدُ في كلام هذا العالم عبارات: الشفاعة لأهل الكبائر .. الشفاعة للمذنبين .. الشفاعة لمن في قلبه مثقال ذرة من إيمان .

فهو يضع تحت هذه العبارة الأخيرة خطاً ؛ لأن العبارتين السابقتين ليس فيهما مستمسك للمرجئ، أما العبارة الأخيرة ففيه شبهةٌ لهم، مع أنها وردت في الأحاديث النبوية، لكن المرجئ يحتج بها احتجاجا باطلا على طريقة أهل البدع في الاحتجاج بالنصوص. فليس العيب في النص لكن العيب في فهمه وتأويله وهذه هي المعركة مع أهل البدع.

وأنا اعتذر من القارئ الكريم فليس لدي وقت لتتبع مقالات ربيع كلها في الشفاعة لكن سأقتصر على مقاله الأخير الذي كتبه بتاريخ 22 صفر 1438 تحت عنوان: (كلام أئمة الإسلام حول أحاديث الشفاعة التي لا يرفع الخوارج الحدادية بها رأساً.)

علما بأن هذه النقول التي ينقلها عن هؤلاء العلماء في هذا المقال هي نفسها في المقالات الأخرى ينقلها من مقال إلى مقال – كما ذكرت في المقدمة - على طريقة (النسخ واللصق) وليس عند الرجل زيادة سوى نقل أو نقلين ربما عثر عليهما أو عثر عليها بعضُ معاونيه فيضيفُها إلى مقال قديم ثم يخرجه بعنوان جديد، وأحيانا يحصل العكس حيث يحذف في مقاله الجديد أشياء في مقاله القديم.

فالرد على مقاله الأخير هو رد على جميع مقالاته في الشفاعة.

ثم إن طالب العلم إذا فهم طريقة ربيع المدخلي في التعامل مع النصوص وكلام العلماء في باب الشفاعة فَهِمَ غَلَطَه في جميع ما يقرره حول هذه النصوص والنقول الكثيرة التي ينقلها عن أهل العلم.

وهو في هذا المقال نَقَل عن الأئمة: أحمد بن حنبل، وأبي زرعة، وأبي حاتم، والبربهاري، وابن منده، والآجري، وابن عبدالبر، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير.

نَقَلَ كلامَهم في إثبات الشفاعة ليتوصل به إلى إثبات نجاة تارك العمل – وهم لم يصرحوا بذلك –

أما كلامهم الواضح الصريح في باب الإيمان فلم يرفع به رأسا.

فالعجب من صنيع هذا الرجل !

يستدل بكلام العلماء في باب الشفاعة على صحة الإيمان من غير عمل الجوارح، وهم ـ أعني: هؤلاء العلماء ـ لهم كلامٌ صريحٌ في هذه المسألة في باب الإيمان.

فلماذا يُعرض ربيع المدخلي عن كلام الأئمة في باب الإيمان ويذهب يتسقّط متشابه كلامهم في باب الشفاعة ؟

ألم يقل رب العالمين: (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)

وسوف أنقل كلام هؤلاء الأئمة الواضح الصريح في باب الإيمان؛ ليعلم القارئ الكريم أن ربيعا المدخلي مخالف لهم في باب الإيمان، ومسيء لهم ومحرِّف لكلامهم ومقاصدهم في باب الشفاعة.

وسوف يتبين كذلك من خلال نقول ربيع المدخلي التي سوف أنقلها بتمامها من غير نقص، أنه في وادٍ وهؤلاء الأئمة في وادٍ آخر.

فهم يَرُدُّون على منكري الشفاعة من الخوارج والمعتزلة، وهو - أعني ربيعا المدخلي – يحتج به على نصرة قول المرجئة. فالأمر كما قيل:

سارتْ مُشَرّقةً وسِرتَ مُغَرّبا ... شتانَ بين مُشرّق ومُغرّبِ

أما تعليقي على هذه النقول فقد جعلته بين قوسين في ذيلِ كلِ نقلٍ منها، وهي تعليقات مختصرة؛ لأن الحق واضح لا يحتاج إلى كثير كلام وطول تعليق. وأسأل الله الإخلاص والتوفيق.

النقل الأول:

قال ربيع: 1- قال الإمام أحمد رحمه الله في أصول السنة (ص64) مع الشرح:

"وَالْإِيمَان بشفاعة النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وبقوم يخرجُون من النَّار بَعْدَمَا احترقوا وصاروا فحمًا فَيُؤْمَر بهم إِلَى نهر على بَاب الْجنَّة كَمَا جَاءَ الْأَثر كَيفَ شَاءَ وكما شَاءَ إِنَّمَا هُوَ الْإِيمَان بِهِ والتصديق بِهِ".

(قلت: في هذا النص إثبات الشفاعة ردا على الخوارج كما هو ظاهر فليس فيه ما ينصر قول المرجئة فلا أطيل الكلام فيه)

النقل الثاني:

قال ربيع: 2-وقال حَنْبَل: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ: مَا يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّفَاعَةِ؟ فَقَالَ: " هَذِهِ أَحَادِيثُ صِحَاحٌ نُؤْمِنُ بِهَا وَنُقِرُّ، وَكُلُّ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسَانِيدَ جَيِّدَةٍ نُؤْمِنُ بِهَا وَنُقِرُّ، قُلْتُ لَهُ: وَقَوْمٌ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِذَا لَمْ نُقِرَّ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَدَفَعْنَاهُ رَدَدْنَا عَلَى اللهِ أَمْرَهُ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7] قُلْتُ: وَالشَّفَاعَةُ؟ قَالَ: كَمْ حَدِيثٍ يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّفَاعَةِ وَالْحَوْضِ، فَهَؤُلَاءِ يُكَذِّبُونَ بِهَا وَيَتَكَلَّمُونَ، وَهُوَ قَوْلُ صِنْفٍ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ أَحَدًا بَعْدَ إِذْ أَدْخَلَهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَدَلَ عَنَّا مَا ابْتَلَاهُمْ بِهِ".

"شرح أصول الاعتقاد" للالكائي (1111/6) رقم (2090).

(قلت: وهذا أيضا هو رد على الخوارج المنكرين للشفاعة، فلا يدخل في الخلاف بين ربيع المدخلي ومخالفيه في باب الإيمان)

النقل الثالث:

قال ربيع: قال الخلال رحمه الله في "السنة":

1177 – قال أبو بكر المروذي: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: ثنا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَأُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أُؤَخِّرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقال -رحمه الله- كما في "السنة" للخلال (367/1):

نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، نا مَعْمَرٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَمَنْ شَكَّ فَلْيَقْرَأْ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء: 40] الْآيَةَ.

وقال الخلال رحمه الله في "السنة":

1178 - قال المروذي: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ثنا عَفَّانُ، قَالَ: ثنا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ فَيُرْعَبُ الْعَدُوُّ وَهُوَ مِنِّي عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَقِيلَ: سَلْ تُعْطَهْ، وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا".

وقال الخلال في "السنة":

1181 - أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: ثنا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي فَلَيْتٌ الْعَامِرِيُّ، عَنْ جَسْرَةَ الْعَامِرِيَّةِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَقَرَأَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ بِهَا: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: 118] فَلَمَّا أَصْبَحَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَازِلْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى أَصْبَحْتَ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ بِهَا؟ قَالَ: «إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّيَ الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي، فَأَعْطَانِيهَا، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا».

1182 - أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: ثنا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ثنا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَيَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَا: ثنا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي» قَالَ يَعْلَى: «شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا».

أخرجه مسلم في "صحيحه" حديث (199)، والإمام أحمد في "مسنده" (381/2).

وقال عبد الله: حَدَّثَنِي أَبِي، نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، نا مَعْمَرٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَمَنْ شَكَّ فَلْيَقْرَأْ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء: 40] الْآيَةَ، "السنة" لعبد الله بن أحمد (367/1-368) رقم (794).

وقال الخلال في "السنة" (149/2) رقم (1581):

"قال أبو بكر المروذي: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ , قَالَ : حَدَّثَنَا عَفَّانُ , قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ , قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو سَلْمَانَ الْعَصَرِيُّ , قَالَ : حَدَّثَنِي عُقْبَةُ بْنُ صُهْبَانَ , قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بَكَرَةَ , عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , قَالَ : (يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ , فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنَبَتَا الصِّرَاطِ تَقَادُعَ الْفِرَاشِ فِي النَّارِ , فَيُنَجِّي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ . قَالَ : ثُمَّ يُؤْذَنُ لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ , عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ , أَنْ

يَشْفَعُوا , فَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ , وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ , وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً مِنْ إِيمَانٍ).

وقال الخلال: قال المروذي: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ , قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ , قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ , قَالَ : حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُعَيْقِبٍ , عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ الْعُتْوَارِيِّ أَحَدِ بَنِي لَيْثٍ , وَكَانَ فِي حَجْرِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ , قَالَ : شَهِدْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (يَشْفَعُ الأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصًا , لِيُخْرِجُوهُمْ مِنْهَا , ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا, فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلاَّ أَخْرَجَهُ مِنْهَا) "السنة" للخلال رقم (1589).

وقَالَ الخلال: قال المروذي : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ , قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ , قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَرُوبَةَ , قَالَ : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ , قَالَ : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ , أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ , وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً , ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ , وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً , ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ , وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) "السنة" للخلال رقم (1590).

(قلت: وهذه النصوص كلها حق، نؤمن بها، وقد جعلتُها نقلا واحدا لما فيها من المشابهة وهي من باب واحد، وهي رد على الخوارج والمعتزلة المنكرين للشفاعة، والعلماء يذكرونها لهذا الغرض وليس لنصرة الإرجاء كما يصنع ربيع المدخلي هداه الله. وهذا ظاهر لكل طالب علم متبصر فلا أطيل الكلام فيه.

وقد يقول لي قائل: فلماذا يذكرها ربيع ؟ فأقول: لأن الرجل يعتقد أن الذي لا يقول بنجاة تارك العمل وأن الذي لا يوافقه على صحة الإيمان من غير عمل، هو رادٌّ لهذا الأحاديث، وغير مؤمن بها، فأصبح الأمر عنده: إما أن تعتقد عقيدة الإرجاء، أو أنت غير مؤمن بالشفاعة. لهذا هو يسرد هذه النقول)

النقل الرابع:

قال ربيع: ثانياً، وثالثاً: الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان -رحمهما الله-.

قال الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان في عقيدتهما (ص104) من "قرة العينين بتوضيح معاني عقيدة الرازيين:

"والشفاعة حق، وأنَّ ناساً من أهل التوحيد يخرجون بالشفاعة حقٌّ".

(قلت: وهذا كسابقه، ليس فيه إلا إثبات الشفاعة ردا على الخوارج والمعتزلة)

النقل الخامس:

قال ربيع: رابعاً: الإمام البربهاري-رحمه الله-.

قال الإمام البربهاري في كتابه "شرح السنة": والإيمان بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمذنبين الخاطئين؛ في يوم القيامة، وعلى الصراط، ويخرجهم من جوف جهنم، وما من نبي إلا له شفاعة، وكذلك الصديقون والشهداء والصالحون، ولله بعد ذلك تفضل كثير فيمن يشاء، والخروج من النار بعدما احترقوا وصاروا فحما"، انظر "عون الباري ببيان ما تضمّنه شرح السنة للإمام البربهاري" (137/1).

(قلت: وهذا نحو ما تقدم، ليس فيه إلا إثبات الشفاعة للمذنبين من الموحدين، ردا على الخوارج والمعتزلة)

النقل السادس:

خامساً: الإمام الآجري-رحمه الله-.

وقال الإمام الآجري –رحمه الله- في كتاب "الشريعة" (ص274):

"بَابُ وجُوبِ الْإِيمَانِ بِالشَّفَاعَةِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ , أَنَّ الْمُنْكِرَ لِلشَّفَاعَةِ يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ فَلَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا, وَهَذَا مَذْهَبُ الْمُعْتَزِلَةِ يُكَذِّبُونَ بِهَا, وَبِأَشْيَاءَ سَنَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى, مِمَّا لَهَا أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ, وَسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَسُنَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ, وَقَوْلِ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

والْمُعْتَزِلَةُ يُخَالِفُونَ هَذَا كُلَّهُ , لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , وَلَا إِلَى سُنَنِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَإِنَّمَا يُعَارِضُونَ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ , وَبِمَا أَرَاهُمُ الْعَقْلُ عِنْدَهُمْ , وَلَيْسَ هَذَا طَرِيقُ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا هَذَا طَرِيقُ مَنْ قَدْ زَاغَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَقَدْ لَعِبَ بِهِ الشَّيْطَانُ , وَقَدْ حَذَّرَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّنْ هَذِهِ صِفَتُهُ, وَحَذَّرَنَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَذَّرَنَاهُمْ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا".

ثم ذكر بعده باب ما روي أن الشفاعة إنما هي لأهل الكبائر.

ثم قال رحمه الله (ص280):

"بَابُ مَا رُوِيَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ تَعَالَى

786 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّزُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ الْمُطَرِّزُ: وَحَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ أَبِي صَالِحٍ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ, فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ, وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ, فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» لَفْظُ أَبِي مُعَاوِيَةَ.

787 - حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ , عَنْ أَبِي صَالِحٍ , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَأَخَّرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا».

788 - حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا [ص:1220] يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو , عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ , لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ , أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ".

(قلت: هذه أدلة إثبات الشفاعة ردا على من ينكرها من الخوارج والمعتزلة.

وهذا ظاهر لا يحتاج إلى إطالة في الكلام. وسبق أن ذكرنا فلسفة الرجل في سرد هذه النقول)

النقل السابع:

قال ربيع: سادساً: الإمام ابن منده -رحمه الله-.

ساق الإمام ابن منده رحمه الله في كتابه [الإيمان] (2) أحاديث الشفاعة من صفحة(763) إلى صفحة (852).

وفي (ص776) أورد حديث أبي سعيد الخدري الذي يشتمل على خمس مراحل للشفاعة، ثم واصل إلى (ص795)، ثم ذكر أحاديث عن ابن مسعود، وأبي ذر في آخر النار خروجا منها.

وفي (ص802-808) ذكر أحاديث في الشفاعة عن جابر تتعلق بآخر من يخرج من النار.

وفي (ص809-826) ذكر أحاديث أنس في الشفاعة وفيها: أن الله يشفعه فيحد له حدًّا فيخرج أناسا من النار ويدخلهم الجنة.

وفيها أنه يقال له: اذهب إلى أمتك فمن وجدت في قلبه مثقال حبة من شعير من الإيمان فأدخله الجنة.

ويعود في الثانية فيسجد لربه، ثم يقال له: اذهب فمن وجدت في قلبه مثقال نصف حبة من شعير من الإيمان فأدخله الجنة.

ويعود في الثالثة فيسجد لربه، ثم يقال له: اذهب فمن وجدت في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأدخله الجنة.

وفي (ص826) إلى (832) أحاديث لأبي هريرة، ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لأمته، فيقول الله: أدخل الجنة من لا حساب عليه من الباب الأيمن وهم شركاء الناس في الأبواب الأخرى.

وفي (ص834-836) أورد أحاديث لأنس وفيها أن النبي صلى الله عليه وسلم أول شفيع في الجنة، وأنه أكثر الأنبياء أتباعا يوم القيامة.

وفي (ص836) إلى (ص842) ذكر أحاديث عن أبي هريرة في الشفاعة، وفيها: الشفاعة فيمن قال: لا إله إلا الله مخلصا.

والشفاعة فيمن مات لا يشرك بالله شيئًا

وفي (ص844-847) ذكر أحاديث عن أنس في الشفاعة مختصرة.

وفي (ص848-849) أورد حديث عوف بن مالك وفيه: أشهد من حضرني أن شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا.

وفي (ص850-852) ذكر أورد حديثين عن ابن عمر وحذيفة حول المقام المحمود.

(قلت: ليس في كل هذا النقل إلا إثبات الشفاعة للموحدين ردا على الخوارج والمعتزلة)

النقل الثامن:

قال ربيع: سابعاً: الإمام ابن عبد البر -رحمه الله-.

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (19/ 65-70):

وفي الشفاعة أحاديث مرفوعة صحاح مسندة من أحسنها ما حدثناه احمد بن فتح بن عبد الله وعبد الرحمن بن يحيى قالا حدثنا حمزة بن محمد ابن علي قال أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال حدثنا أبو الربيع الزهراني قال حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا معبد بن هلال العنزي قال اجتمع رهط من أهل البصرة وأنا فيهم فأتينا أنس بن مالك واستشفعنا عليه بثابت البناني فدخلنا عليه فأجلس ثابتا معه على السرير فقلت لا تسألوه عن شيء غير هذا الحديث فقال ثابت يا أبا حمزة إخوانك من أهل البصرة جاءوا يسألونك عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشفاعة فقال حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيؤتى آدم عليه السلام فيقولون يا آدم اشفع لنا إلى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله عز وجل فيؤتى إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيؤتى موسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى بن مريم فإنه روح الله وكلمته فيؤتى عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد فأوتى فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن علي ربي عز وجل فيؤذن لي فأقوم بين يديه مقاما فيلهمني فيه محامد لا أقدر عليها الآن فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقول لي يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع فأقول أي رب أمتي: أمتي فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه مثقال ذرة أو مثقال شعيرة فأخرجه فأنطلق فأفعل ثم أرجع فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول أي رب أمتي: أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار".

فلما رجعنا من عند أنس قلت لأصحابي هل لكم في الحسن وهو مستخف في منزل أبي خليفة في عبد القيس فأتيانه فدخلنا عليه فقلنا خرجنا من عند أخيك أنس بن مالك فلم نسمع مثل ما حدثنا في الشفاعة قال كيف حدثكم فحدثناه الحديث حتى إذا انتهينا قلنا لم يزدنا على هذا قال لقد حدثنا هذا الحديث منذ عشرين سنة ولقد ترك منه شيئا فلا أدري أنسي الشيخ أم كره أن يحدثكموه فتتكلوا ثم قال في الرابعة ثم أعود فأخر له ساجدا ثم أحمده بتلك المحامد فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول أي رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله صادقا قال فيقول تبارك وتعالى ليس لك وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله فأشهد على الحسن لحدثنا بهذا الحديث يوم حدثنا به أنس بن مالك.

وروى همام عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في الشفاعة من أوله إلى آخره بأتم ألفاظ.

وروى سهيل بن أبي صالح عن زياد النميري عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله من أوله إلى آخره بمعناه في الشفاعة.

-ثم ذكر عدة أحاديث في الشفاعة- إلى أن قال (ص69): والآثار في هذا كثيرة متواترة والجماعة أهل السنة على التصديق بها ولا ينكرها إلا أهل البدع.

وقال (ص70): كل هذا يكذب به جميع طوائف أهل البدع الخوارج والمعتزلة والجهمية وسائر الفرق المبتدعة وأما أهل السنة أئمة الفقه والأثر في جميع الأمصار فيؤمنون بذلك كله ويصدقونه وهم أهل الحق والله المستعان.

(قلت: ما قال الإمام ابن عبد البر حق، وهو كسابقه ليس فيه إلا إثبات الشفاعة لأهل التوحيد ردا على من ينكرها من الخوارج والمعتزلة)

النقل التاسع:

قال ربيع: ثامناً: تصريحات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بتواتر أحاديث الشفاعة وأنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

1-قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في "مجموع الفتاوى" (318/1):

"وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ أَنْكَرُوا شَفَاعَتَهُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ فَقَالُوا: لَا يَشْفَعُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ عِنْدَهُمْ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ وَلَا يُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلُوهَا لَا بِشَفَاعَةٍ وَلَا غَيْرِهَا.

وَمَذْهَبُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ، وَأَنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَحَدٌ؛ بَلْ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إيمَانٍ أَوْ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إيمَانٍ".

2- وسُئل رحمه الله:

عَنْ الشَّفَاعَةِ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهَلْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ أَمْ لَا؟

فَأَجَابَ:

"إنَّ أَحَادِيثَ الشَّفَاعَةِ فِي " أَهْلِ الْكَبَائِرِ " ثَابِتَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ اتَّفَقَ عَلَيْهَا السَّلَفُ مِنْ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانِ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَإِنَّمَا نَازَعَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الْبِدَعِ مِنْ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَنَحْوِهِمْ. وَلَا يَبْقَى فِي النَّارِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إيمَانٍ بَلْ كُلُّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ النَّارِ وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَيَبْقَى

فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ. فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا آخَرَ يُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". "مجموع الفتاوى" (309/4).

3-وقال رحمه الله:

"وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ {يَخْرُجُ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إيمَانٍ}". "مجموع الفتاوى" (56/13).

4-وقال رحمه الله:

"وَنُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَعَ اتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا مُتَطَابِقَةٌ عَلَى أَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مَنْ يُعَذَّبُ وَأَنَّهُ لَا يَبْقَى فِي النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إيمَانٍ". مجموع الفتاوى (191/18- 192).

5-وقال رحمه الله:

"وَحَدِيثُ الْقَبْضَةُ الَّتِي يُخْرِجُ بِهَا مِنْ النَّارِ قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ. نَهْرُ الْحَيَاةِ". مجموع الفتاوى (184/4).

6-وقال رحمه الله:

"وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لَهُ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ شَفَاعَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". وَلَمْ يَقُلْ كَانَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي بَلْ قَالَ: {أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ}". مجموع الفتاوى (440/27).

إلى أن قال رحمه الله: وَنَظِيرُ هَذَا مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً وَإِنِّي اخْتَبَأْت دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاَللَّهِ شَيْئًا}، وَكَذَلِكَ فِي أَحَادِيثَ الشَّفَاعَةِ كُلِّهَا إنَّمَا يَشْفَعُ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ فَبِحَسَبِ تَوْحِيدِ الْعَبْدِ لِلَّهِ وَإِخْلَاصِهِ دِينَهُ لِلَّهِ يَسْتَحِقُّ كَرَامَةَ الشَّفَاعَةِ وَغَيْرِهَا". مجموع الفتاوى(440/27).

(قلت: وهذه النقول عن شيخ الإسلام فيها إثبات الشفاعة أيضا، وهذا خارج موضع النزاع بيننا وبين هذا الرجل)

ثم قال ربيع بعد أن أورد النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وهذه النصوص عن شيخ الإسلام وغيره من أئمة الإسلام، بل واتفاق السلف من الصحابة وتابعيهم بإحسان تدمغ الحدادية الذين يهوشون على أحاديث الشفاعة، ومن تهويشاتهم قول بعض زعمائهم: إن أحاديث الشفاعة من المتشابه. وقصره الشفاعة

على المصلين؛ مخالفين في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام وأئمة الإسلام رحمهم الله.

(قلت: لم يقل أحد من العلماء أو من طلاب العلم الذين ردوا عليك بدعة الإرجاء: إن أحاديث الشفاعة من المتشابه. هذا كذب عليهم. وقد بينت ذلك في مقال مفرد، والحمد لله. سأورده بتمامه إن شاء الله في خاتمة البحث.

وأما قَصْرُ الشفاعة على أهل الصلاة فهذا ما قرره الإمام محمد بن نصر المروزي وبعده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله. كما بينته في كتابي (الرد العلمي الرفيع)

أما أنت يا ربيع فقد اعتبرت ذلك زلةً من الإمام ابن نصر ! وتخرصت عليه بأنه لم يتنبه لأحاديث الشفاعة الأخرى بزعمك ! لكن يُحْمَدُ لك أنك خَطَّأته فقط، ولم تقل عنه إنه خارجي حدادي لا يؤمن بأحاديث الشفاعة !)

النقل العاشر:

قال ربيع: سابعاً: الإمام ابن القيم -رحمه الله-.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه [حادي الأرواح] (ص272-273) في الكلام على حديث أبي سعيد رضي الله عنه في الشفاعة:

"الوجه العشرون انه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري في حديث الشفاعة فيقول عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما، فيلقيها في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه و لا خير قدموه.

فهؤلاء أحرقتهم النار جميعهم فلم يبق في بدن أحدهم موضع لم تمسه النار بحيث صاروا حمما وهو الفحم المحترق بالنار وظاهر السياق أنه لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير، فإن لفظ الحديث هكذا فيقول: "ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض الله قبضة من نار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط"، فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير ومع هذا فأخرجتهم الرحمة.

ومن هذا رحمته سبحانه وتعالى للذي أوصى أهله أن يحرقوه بالنار ويذروه في البر والبحر زعما منه بأنه يفوت الله سبحانه وتعالى فهذا قد شك في المعاد والقدرة ولم يعمل خيرا قط ومع هذا فقال له ما حملك على ما صنعت؟ قال خشيتك وأنت تعلم فما تلافاه أن رحمه الله، فلله سبحانه وتعالى في خلقه حكم لا تبلغه عقول البشر وقد ثبت في حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله قال: (يقول الله عز و جل أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام)".

1- الإمام ابن القيم بنى حكمه هنا على حديث أبي سعيد وأيده بحديث هذا الرجل الذي لم يعمل خيراً قط، وأمر أولاده أن يحرقوه...الحديث.

ولا شك أنه يؤمن بأحاديث الشفاعة الأخرى والأحاديث الواردة في فضل لا إله إلا الله وفضل التوحيد، ولا شك أنه يؤمن بحديث صاحب البطاقة، ونصه:

«إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».

والذي نعرفه عن ابن القيم أنه كان يرى كفر تارك الصلاة.

لكنه لما وقف أمام حديث أبي سعيد في الشفاعة وما تلاه لم يسعه إلا الاستسلام لها والصدع بمضمونها.

(قلت: قال ابن القيم بمضمونها على مذهب أهل السنة وليس على مذهب المرجئة.

ثم من أين لك أن ابن القيم تراجع عن قوله في كفر تارك الصلاة ؟

هل وقفت على كلام صريح له في ذلك ؟

أما أنه التخرص والتقوّل على أهل العلم ؟

هذا، وكل طالب علم لم يتلوث ببدعة الإرجاء يعلم أنه لا تعارض بين قول ابن القيم هنا وقوله في كفر تارك الصلاة.

نعم، على فهم المرجئة يكون التعارض؛ لأنهم يعتقدون صحة إسلام تارك العمل. وربيع المدخلي لمّا فهم هذا من كلام ابن القيم في كتاب (حادي الأرواح) جعل ذلك تراجعا من ابن القيم عن تكفير تارك الصلاة.

وابن القيم لم يتراجع ولم يَثبت ذلك عنه ولم يصرح به لكن البلاء في فهم ربيع المدخلي لكلامه، والله المستعان)

ثم قال ربيع:

حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- في الشفاعة.

ومنه يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "... فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول رب أمتي أمتي فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول أمتي أمتي فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل.

قال معبد بن هلال العنـزي الراوي عن أنس –رضي الله عنه-:

هذا حديث أنس الذي أنبأنا به فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجبان قلنا لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مستخف في دار أبي خليفة قال فدخلنا عليه فسلمنا عليه فقلنا يا أبا سعيد جئنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع مثل حديث حدثناه في الشفاعة قال هيه فحدثناه الحديث فقال هيه قلنا ما زادنا قال قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع ولقد ترك شيئا ما أدري أنسي الشيخ أو كره أن يحدثكم فتتكلوا قلنا له حدثنا فضحك وقال: (خلق الإنسان من عجل). ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه.

"ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذاك لك أو قال ليس ذاك إليك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله".[8]

وهؤلاء الأئمة الذين رووا هذا الحديث –حديث أنس- وحديث أبي سعيد رضي الله عنهما يؤمنون بما تضمّنه هذان الحديثان من الشفاعات في الأصناف المذكورة،

وقبلهم الصحابة والتابعون الذين بلغهم هذان الحديثان وغيرهما من أحاديث الشفاعة، فما هو رأي الفرقة الحدادية فيهم؟

(قلت: وهل يوجد أحد ممن رد عليك بدعتك الإرجائية لا يعتقد مضمون هذا الحديث ؟

كفَّ يا ربيع عن الافتراء والتجني على خصومك ! هداك الله !

فنحن نقول بها، ونعتقد ما جاء فيها كما اعتقد السلف، لكن لا نجعلها دليلا على الإرجاء كما تفعل أنت، فهذه نقطة الخلاف بيننا وبينك، لكن كثيرا من متابعيك لا يفهمون هذا، لأنك وَسْوَسْتَ لهم أننا خوارج حدادية لا نقول بأحاديث الشفاعة، ولذلك تكتب هذه المقالات الكثير وتنقل كلام العلماء في إثبات الشفاعة من أجل أن تُرَسِّخَ وَسْوَسَتَك في رؤوس هؤلاء المساكين !)

قال ربيع:

فحديث أنس -رضي الله عنه- يفيد أن الشفاعة تتناول أصنافاً:

الصنف الأول: من كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان.

الثاني: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.

الثالث: من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان.

الرابع: صنف يشفع فيهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهم من قال: "لا إله إلا الله"، فيقول الله له: " ليس ذاك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله ".

فهذه الأصناف من أمة محمد أدخلوا النار بذنوبهم، وأخرجهم الله من النار بشفاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبما في قلوبهم من الإيمان.

والصنف الأخير: أخرجوا بعزة الله وكبريائه وعظمته وجبريائه ورحمته، وذلك بسبب توحيدهم وإيمانهم، وإن كان في نهاية الضعف.

فهذان الحديثان يجمعان بين الترهيب والترغيب؛ الترهيب من الذنوب والعقوبة الشديدة عليها ليرتدع المسلمون عن الذنوب، والترغيب في الإيمان والتوحيد ليكونوا من أهله.

(قلت: ما الذي تريد أن تصل إليه ؟

لماذا لا تقولها صريحة ؟

أن تارك العمل بالكلية مسلم ومن أهل النجاة يوم القيامة،

وعليه: فالإيمان يصح من غير عمل،

وعليه: فما كانت تقوله المرجئة حق، وأحاديث الشفاعة تدل عليه وتؤيده، لكن السلف أخطأوا حينما ردوا عليهم وبدّعوهم؛

فإن القوم عندهم أدلةٌ لم يَفْهَمْها السلف، وفَهِمَها ربيعٌ المدخلي واستنبط منها صحةَ قول المرجئة .

هذه خلاصة ما يريد هذا الرجل تقريره والله المستعان)

النقل العاشر:

قال ربيع: ثامناً: الإمام ابن كثير -رحمه الله-.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا}:

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا}، قَالَ: وُرُودُ الْمُسْلِمِينَ الْمُرُورُ عَلَى الْجِسْرِ بَيْنَ ظَهْرَيْهَا، وَوُرُودُ الْمُشْرِكِينَ: أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الزَّالُّونَ وَالزَّالَّاتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَحَاطَ بِالْجِسْرِ يَوْمَئِذٍ سِمَاطان مِنَ الْمَلَائِكَةِ، دُعَاؤُهُمْ: يَا أَللَّهُ سَلِّمْ سَلِّمْ".

وَقَالَ السُّدِّيُّ، عَنْ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: {كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} قَالَ: قَسَمًا وَاجِبًا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: [حَتْمًا]، قَالَ: قَضَاءً. وَكَذَا قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ.

وَقَوْلُهُ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا} أَيْ: إِذَا مَرَّ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ عَلَى النَّارِ، وَسَقَطَ فِيهَا مَنْ سَقَطَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْعُصَاةِ ذَوِي الْمَعَاصِي، بِحَسَبِهِمْ، نَجَّى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ مِنْهَا بِحَسْبِ أَعْمَالِهِمْ. فَجَوَازُهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَسُرْعَتُهُمْ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يُشَفَّعُونَ فِي أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَشْفَعُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَكَلَتْهُمُ النَّارُ، إِلَّا دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ -وَهِيَ مَوَاضِعُ السُّجُودِ-وَإِخْرَاجُهُمْ إِيَّاهُمْ مِنَ النَّارِ بِحَسْبِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ، فَيُخْرِجُونَ أَوَّلًا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، [ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ] حَتَّى يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ.

ثُمَّ يُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، وَلَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا).

(قلت: كلام العلماء في باب الشفاعة كلُّه على هذا النسق، وهو موافق للنصوص التي لم يفهم منها أحدٌ منهم ما يقول به المرجئة، بل عرفوا أن المرجئة سوف تتعلق بها فأجابوا عنها كما فعل ابن خزيمة وابن عبد البر رحمهما الله.

وربيعٌ المدخلي يصر على حملها على القول الغلط والمذهب الرديء، مذهب المرجئة.

وسوف أنقل في الفصل التالي كلام هؤلاء الأئمة في باب الإيمان لتعلم أيها القارئ الكريم أن قولهم في الشفاعة لا يتعارض ولا ينقض قولهم في الإيمان كما يحاول ربيع المدخلي إثباته.

تنبيه مهم: قد يقول قائل: إن ربيعا المدخلي نقل هنا كلام الأئمة في إثبات الشفاعة وهذا حق. فأين احتجاجه بهذا الكلام على بدعة الإرجاء ؟

والجواب: كما يقول الفقهاء في قاعدتهم الكبرى " الأمور بمقاصدها " فكل قارئ لربيع المدخلي يعلم علم اليقين أن قصد ربيع من إيراد هذه النقول بل من إيراد أحاديث الشفاعة بل من جميع مقالاته في موضوع الشفاعة هو نصرة الإرجاء لا غير. فخصومة الرجل ليست مع الخوارج والمعتزلة المنكرين للشفاعة أصلا.

لكن خصومة الرجل مع مَن يسميهم : " الحدادية " وهؤلاء " الحدادية " عند ربيع المدخلي هم الذين خالفوه وأنكروا عليه الاحتجاج بأحاديث الشفاعة على بدعة الإرجاء، فصار يورد عليهم أحاديث الشفاعة وكلام العلماء حولها، يظن بفهمه السقيم أن الذي لا يستدل بها على بدعة الإرجاء قد خالف النصوص وكلام العلماء، وتأمل في عنوان مقالته (كلام أئمة الإسلام حول أحاديث الشفاعة التي لا يرفع الخوارج الحدادية بها رأساً.)

فانظر إلى قوله " التي لا يرفع الخوارج الحدادية بها رأسا " فهو يعتقد أننا لا نرفع لكلام العلماء في الشفاعة رأسا إلا إذا قلنا ببدعة الإرجاء وجعلنا كلام هؤلاء العلماء دليلا عليه كما يفعل هو !

بل تعجب أكثر إذا قرأت كلامه الذي صدّر به مقاله المذكور حيث قال: فإلى القراء الكرام أسوق في الشفاعة كلام أئمة الإسلام، وكلامهم ومذهبهم شافٍ -إن شاء الله- لصدور المؤمنين الصادقين، وغيظ لقلوب الخوارج المارقين ومن سار على نهجهم من الضالين.

فهذا التصدير يؤكد أن هذا الرجل قد اختلطت عليه الأمور، فأحاديث الشفاعة رد بها العلماء على مَن أنكرها من الخوارج والمعتزلة واستعملوها في هذا الغرض.

أما ربيع فرد بها على مَن أنكر عليه احتجاجه بها على بدعة الإرجاء.

ففرق بين استدلال العلماء بها وبين استدلال ربيع. لكنه لسوء فهمه وقلة توفيقه ظن أن مَن رد عليه احتجاجه الباطل فقد رد على العلماء الذي احتجوا بأحاديث الشفاعة، ومَن رد على العلماء في هذا الباب فهو خارجي !!

فمن يُخرج ربيعا المدخلي من هذا العنق الضيق ويُرتب له الأمور ؟

تنبيه آخر: كنت قلت في كتابي (الرد العلمي الرفيع ..): لما قرر الشيخ ربيع المدخلي أن العمل كمال في الإيمان , ذهب يبحث عن أدلة تؤيد هذا المذهب , فوقع على أحاديث الشفاعة , وفيها لفظة معروفة احتج بها المرجئة على أن العمل كمال في الإيمان , ووافقهم الشيخ ربيع .. إلى آخره

فأبى الرجل إلا أن يُماحك حتى في أسلوب الكتابة فعلق على قولي: " فوقع على أحاديث الشفاعة " قائلا : لقد عرفت منزلة الشفاعة من طفولتي، ثم من دراستي في المرحلة الثانوية، ثم من دراستي [لشرح الطحاوية] لابن أبي العز في المرحلة الجامعية وقد ذكر أنَّ للشفاعة ثمانية أنواع في هذا الكتاب.

ولعل هذه المعرفة قبل أن يولد هذا الجهني وأكثر أنصاره. اهـ

قلت: هنيئا لك هذه المعرفة ! لكن ليس العبرة بالمعرفة بل بصحة المعرفة التي هي الفهم السليم ؛ فإن كثيرا من أهل البدع يعرفون أكثر منك، ويرون من الأحاديث ما لم تسمع به، وعندهم من الاطلاع ما تفتقر إلى عُشْره، فهل نفعهم هذا الاطلاع أو نفعتهم تلك المعرفة ؟

وما أجملَ قولَ شيخِ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، كما في (المجموع 665/10):

" وقد أوعبت الأمة في كل فن من فنون العلم إيعابا، فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالا؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي لبيد الأنصاري: أو ليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى؟ فماذا تغني عنهم. اهـ)

الفصل الخامس: في بيان عقيدة هؤلاء العلماء - الذين نقل عنهم ربيع - في باب الإيمان وإثبات أنهم برآء من بدعة الإرجاء

أولا: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

قال رحمه الله : الإيمان لا يكون إلا بعمل .

رواه عنه الإمام الخلال في (السنة 566/3)

ثانيا، وثالثا: الإمامان أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان رحمهما الله

قالا في أول العقيدة التي رواها عنهما ابن أبي حاتم: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا ومصرا وشاما ويمنا، فكان من مذهبهم أن الإيمان قول وعمل ..

رابعا: الإمام البربهاري رحمه الله

قال في شرح السنة (ص52): الإيمان قول وعمل، وعمل وقول، ونية وإصابة، يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء.

خامسا: الإمام الآجُرّي رحمه الله

قال في كتابه " الشريعة 274/1 ":

باب: القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح لا يكون مؤمنا، إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث.

ثم قال رحمه الله: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقا، ولا تجزئ معرفة بالقلب، ونطق باللسان ، حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال : كان مؤمنا دل على ذلك القرآن، والسنة، وقول علماء المسلمين.

(وقال أيضاً 275/1):

الأعمال - رحمكم الله - بالجوارح: تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمله وبجوارحه : مثل الطهارة، والصلاة والزكاة، والصيام والحج والجهاد، وأشباه لهذه ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمنا، ولم ينفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيبا منه لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقا منه لإيمانه، وبالله التوفيق . انتهى

(وقال رحمه الله 311/1):

بل نقول والحمد لله قولا يوافق الكتاب والسنة، وعلماء المسلمين الذين لا يستوحش مَن ذَكَرهم، وقد تقدم ذكرنا لهم : إن الإيمان معرفة بالقلب تصديقا يقينا ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح ، ولا يكون مؤمنا إلا بهذه الثلاثة، لا يجزئ بعضها عن بعض، والحمد لله على ذلك . انتهى

سادسا: الإمام ابن منده رحمه الله

له كتاب في الإيمان (تحقيق الشيخ علي فقيهي) قرر فيه مذهب السلف الصالح أن الإيمان قول وعمل. وقال في بعض أبوابه: ذكر خبر يدل على أن الإيمان ينقص حتى لا يبقى في قلب العبد مثقال حبة خردل.

قلت: وهذه تمنع منها المرجئة لأن أصل الإيمان عندهم لا يذهب، وربيع المدخلي يوافقهم في ذلك، لذا تراه يحارب هذه العبارة، كما بينته ورددت عليه في كتابي (الرد العلمي الرفيع)

سابعا: الإمام ابن عبد البر رحمه الله

قال في التمهيد (238/9): أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية ...

وأكد قول السلف "الإيمان قول وعمل" في عدة مواضع في كتابه التمهيد.

وفي (254/9) نقل كلام سفيان بن عيينة رحمه الله:

" نحن نقول الإيمان قول وعمل والمرجئة تقول الإيمان قول وجعلوا ترك الفرائض ذنبا بمنزلة ركوب المحارم وليس كذلك إن ترك الفرائض من غير جهل ولا عذر كفر وركوب المحارم عمدا من غير استحلال معصية "

قلت: من ينقل هذا الكلام ويقره هل يمكن أن يقول بقول المرجئة أو أن يحتج بأحاديث الشفاعة على صحة إيمان تارك العمل ؟

ثامنا: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

قال رحمه الله:

حقيقة الدين هو الطاعة و الانقياد, و ذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط؛ فمن لم يفعل لله شيئا فما دان لله دينا, و من لا دين له فهو كافر. انتهى

(شرح العمدة - كتاب الصلاة ص86).

وقال أيضاً - رحمه الله - : وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الدِّينَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ, وَأَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ بِقَلْبِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤَدِّ وَاجِبًا ظَاهِرًا وَلَا صَلَاةً وَلَا زَكَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الْوَاجِبَاتِ, لَا لِأَجْلِ أَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَهَا, مِثْلَ أَنْ يُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ أَوْ يُصَدِّقَ الْحَدِيثَ أَوْ يَعْدِلَ فِي قَسَمِهِ وَحُكْمِهِ مِنْ غَيْرِ إيمَانٍ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ مِنْ الْكُفْرِ؛ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ يَرَوْنَ وُجُوبَ هَذِهِ الْأُمُورِ فَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ مَعَ عَدَمِ شَيْءٍ مِنْ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِإِيجَابِهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَنْ قَالَ : بِحُصُولِ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ بِدُونِ فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ الْوَاجِبَاتِ - سَوَاءٌ جَعَلَ فِعْلَ تِلْكَ الْوَاجِبَاتِ لَازِمًا لَهُ أَوْ جُزْءًا مِنْهُ فَهَذَا نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ - كَانَ مُخْطِئًا خَطَأً بَيِّنًا , وَهَذِهِ بِدْعَةُ الْإِرْجَاءِ الَّتِي أَعْظَمَ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ الْكَلَامَ فِي أَهْلِهَا وَقَالُوا فِيهَا مِنْ الْمَقَالَاتِ الْغَلِيظَةِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ , وَالصَّلَاةُ هِيَ أَعْظَمُهَا وَأَعَمُّهَا وَأَوَّلُهَا وَأَجَلُّهَا . انتهى (مجموع الفتاوى 621/7).

تاسعا: الإمام ابن القيم رحمه الله

قال في كتاب حادي الأرواح - الذي نقل عنه ربيع آنفا –

وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة من مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها كما حكاه الأشعري عنهم ونحن نحكي إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الإمام احمد عنهم بلفظه قال في مسائله المشهورة: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق، قال وهو مذهب احمد وإسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحُميدي وسعيد بن منصور وغيرهم كمن جالسنا وأخذنا عنهم العلم وكان من قولهم:

أن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة. والإيمان يزيد وينقص ... ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجئ. ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع فهو مرجئ ...

قلت: وهؤلاء - أعني ربيعا ومَن نحا نحوه – يقولون: الإيمان قول والعمل كمال.

عاشرا: الإمام ابن كثير رحمه الله

قال في أول تفسير سورة البقرة بعد أن نقل كلاما لابن جرير الطبري:

قلت: أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض، وقد يستعمل في القرآن، والمراد به ذلك، كما قال تعالى: {يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين} ، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: {وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين}، وكذلك إذا استعمل مقرونا مع الأعمال؛ كقوله: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات} ، فأما إذا استعمل مطلقا فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادا وقولا وعملا.

هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعا: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أوردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري، ولله الحمد والمنة. اهـ

فهذه أقوال هؤلاء الأئمة رحمهم الله في الإيمان.

وقد تقصدت أن أذكر أقول الأئمة الذين ذكر ربيع المدخلي أقوالهم في إثبات الشفاعة حتى يتبين للقارئ أن هؤلاء الأئمة لهم كلام صريح ومحكم في باب الإيمان، كان يجب على ربيع لو أراد أن يعرف عقيدتهم أن يرجع إلى هذه الأقوال، بل بعضهم له كتاب أو رسالة في الإيمان.

لكن الشيء المؤسف أن ربيعا أعرض عن كل هذه الأقوال الصريحة وذهب إلى أقوالهم في باب الشفاعة يحتج بها في باب الإيمان !

فالله المستعان على هذا التلاعب والروغان !

ثم إذا قيل له: لا يجوز الاحتجاج بأحاديث الشفاعة على صحة إيمان تارك العمل أو نجاته. وأن هذا هو مسلك المرجئة قديما وحديثا.

صاح بالناصحين والرادين: أنتم خوارج حدادية لا تؤمنون بالشفاعة !

ثم يذهب يسرد أقوال الأئمة في إثبات الشفاعة ! وينقلها من مقال إلى مقال بعناوين مختلفة !

الفصل السادس: في بيان أن أحاديث الشفاعة لو استدل بها مرجئة أهل الكوفة وأصحاب الرأي لعجز ربيع المدخلي أن يرد عليهم لأنه يتفق معهم في الفهم والتفسير

أقول ذلك تقديرا وإلا فإن القوم، هذه الأحاديث ونظائرها من العمومات هي أدلتُهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في (المجموع 7/613-614) وهو يتكلم عن مسألة تارك الصلاة:

وأما الذين لم يكفروا بترك الصلاة ونحوها؛ فليست لهم حجة إلا وهي متناولة للجاحد كتناولها للتارك فما كان جوابهم عن الجاحد كان جوابا لهم عن التارك؛ مع أن النصوص علقت الكفر بالتولي كما تقدم؛ وهذا مثل استدلالهم بالعمومات التي يحتج بها المرجئة كقوله (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه أدخله الله الجنة) ونحو ذلك من النصوص. اهـ

فلو أن مرجئة أهل الكوفة الذين بدّعهم السلف الصالح وقالوا فيهم المقالات الغليظة التي لا تخفى على طلاب العلم السلفيين قالوا لربيع المدخلي: نحن نقول إن الإيمان قول فقط والعمل ليس من الإيمان وأدلتنا هي الأدلة التي تستدل بها: أحاديث الشفاعة. فهي تدل عندك على أن تارك العمل مؤمن مستحق للشفاعة فأثبت لنا ما يقوله السلف إن العمل من الإيمان ؟

سيعجز ربيع قطعا وسينقطع معهم؛ لأنه كلما أورد لهم نصا في أن العمل من الإيمان وهي كثيرة معلومة في الصحيحين وغيرهما قالوا له: لكنك تقول إن تاركه مؤمن مستحق للشفاعة يوم القيامة. فالإيمان قام عندك بالقول وحده من غير عمل. وهذا على خلاف قول السلف الذين جعلوا العملَ أساسا في الإيمان – كما تقدم النقل عنهم - فسيضطر ربيع إلى أن يقول لهم: العمل كمال في الإيمان ليس ركنا أساسيا فيه. وحينئذ سيقولون له: إذن الخلاف بيننا وبينك خلاف لفظي لأننا اتفقنا على أن الإيمان يصح بالقول وحده. لكن نحن نقول خارج الإيمان وأنت تقول كمال في الإيمان. وهذه نقطة ليست جوهرية بيننا.

(هذه المسألة بينتها بتفصيل في مقال بعنوان: حوار مباشر بين مرجئ قديم ومرجئ معاصر. وأثبتُ في الحوار عجز المرجئ المعاصر وضعفه واستسلامه للمرجئ القديم، بسبب أنه ينطلق من أصوله، فيصعب عليه نقض بدعته)

الفصل السابع: في كشف فرية ربيع المدخلي على كاتب هذه السطور

كتب ربيع في مقاله المذكور تعليقا في الحاشية قال فيه: من عجائب ومنكرات عبد الحميد الجهني الحدادي أنه لا يعترف إلا بشفاعة الملائكة في المصلين فقط، ويرى أن أحاديث الشفاعة ما عدا هذا من المتشابه ..

وكان قبل ذلك قد كتب مقالة ضمن مقالاته المتهافتة التي رد بها على كتابي " الرد العلمي الرفيع على مقالات الشيخ ربيع " سمَّاها: " عبد الحميد الجهني يقول: إن أحاديث الشفاعة عامة ومن المتشابه نعوذ بالله من الجهل والهوى "

وأقول: سبحانك هذا بهتان عظيم !

فإني لم أقل ولا أقول – بإذن الله تعالى – هذا الذي افتراه ربيع المدخلي ، وكلامي واضح جدا في كتابي (الرد العلمي الرفيع) وكان ربيع المدخلي من أوائل من قرأوا هذا الكتاب ولم ينتفعوا بما فيه من الحق المؤيد بالأدلة وأقوال علماء السنة.

وفي هذا الكتاب قررت: أن المتشابه ـ في أحاديث الشفاعة ـ هي لفظة وحيدة فريدة وردت في حديث واحد من أحاديث الشفاعة. أخرجها مسلم وأعرض عنها البخاري، هي لفظة " لم يعملوا خيرا قط ".

وهذا شيء لم أنفرد به، بل قاله علماء اللجنة الدائمة - رحم الله الأموات منهم وحفظ الأحياء - حيث جاء في الفتوى (رقم 21436 وتاريخ 8 / 4 / 1421 هـ) قولهم : وأما ما جاء في الحديث أن قوما يدخلون الجنة لم يعملوا خيرا قط فليس هو عاما لكل من ترك العمل وهو يقدر عليه . وإنما هو خاص بأولئك ؛ لعذر منعهم من العمل ، أو لغير ذلك من المعاني التي تلائم النصوص المحكمة وما أجمع عليه السلف الصالح في هذا الباب. انتهى

فتأمل كيف وجه العلماء هذا النص وردوه إلى المحكم، على خلاف ما يقرره ربيع المدخلي - هداه الله - الذي يزعم أن هذه اللفظة من المحكم الواضح !

وهذا أيضا الشيخ العلامة زيد المدخلي رحمه الله، كان قد نقل فتوى اللجنة الدائمة في كتابه " العقد المنضد الجديد في الإجابة على مسائل الفقه والمناهج والتوحيد " (ص45-46) وقال في التعليق عليها: وكلامهم هذا فيه جمع بين نصوص الوعد والوعيد كما فيه رد المشكل من النصوص إلى المبين، والله أعلم.

فما رأيُك ؟

هل الشيخ زيد المدخلي رحمه الله لا يؤمن بأحاديث الشفاعة، أو أنه يقول عنها إنها متشابهة ؟

ليتك تُبيّن لي فرقا بين ما قلته أنا وبين ما قاله الشيخ زيد رحمه الله، ومِن قَبْلِه اللجنة الدائمة.

فإن لم تُبين - ولن تُبين - لأنه لا فرق، فيجب عليك حينئذ أن ترجع عن هذا العنوان الظالم الذي وضعته لمقالك !

وخذ هذه الثالثة، فقد سئل الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله: أن هناك من يقول بأن ترك العمل الظاهر بالكلية لا يكفر و يستدل على هذا بحديث " لم يعملوا خيرا قط " و حديث صاحب البطاقة، فما هو الرد على هذه الشبه ؟

فأجاب: هذه طريقة أهل الزيغ؛ يأخذون حديثاً واحداً ويتركون بقية الأحاديث. الراسخون في العلم يجمعون بين الأدلة، بين كلام الله و كلام رسوله و يفسرون بعضه ببعض، أما أنه يأخذ حديث البطاقة فقط، أو حديث " لم يعملوا خيراً قط " و يترك الأحاديث المقيدة لهذه الأحاديث المطلقة، فهذا ضلال و العياذ بالله، {فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه}.

المتشابه يرد إلى المحكم، فنحمل حديث صاحب البطاقة و صاحب الذي لم يعمل خيراً قط و يخرج من النار؛ على أنه لم يتمكن من العمل، نطق بـ (لا إله إلا الله) عن قلب و عن إيمان، ثم قتل أو مات في الحال و لم يتمكن من العمل، أو كان لم يبلغه شيء من هذا الدين لبعده عن بلاد المسلمين، و لكن قال لا اله إلا الله مخلصا و لم يعمل، لأنه لم يعرف العمل.

أما الذي ليس له عذر في ترك العمل، و تركه من غير عذر، فهذا ليس بمؤمن، بدليل الآيات و الأحاديث التي تدل على أن الإيمان لابد معه من العمل. انتهى (مذهب أهل السنة و الجماعة في الإيمان ص59-60)

قلت: فربيع المدخلي الآن بين أمرين، إما أن يسحب هذا المقال ويتوب إلى الله منه، لما فيه من الظلم والكذب والتزوير.

وإما أن يجعل هؤلاء العلماء، علماء اللجنة الدائمة والشيخ زيد المدخلي أصحاب هوى !

إذ لا فرق بين ما قررته أنا وبين ما قرروه هم حول أحاديث الشفاعة. فهم سلفي في هذه المسألة ونِعْمَ السلفُ هم.

تمت الرسالة بفضل الله تعالى

عصر السبت 14 شوال 1438

على يد كاتبها / عبد الحميد بن خليوي الجهني

غفر الله له ولوالديه